الصِّلة بين الألفاظ ومعانيها بين القدماء والمحدثين.

- الصلة بين الألفاظ ومعانيها عند القدماء.
- الصلة بين الألفاظ ومعانيها عند علماء اللغة المحدثين.
- بين الصِّلة الطَّبيعيَّة الذَّاتية والدلالة المكتسبة.

د. عبد الله بن أحمد محمد القليصي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية — جامعة الحديدة

رئيس قسم معلم صف بكلية التربية - الحديدة.

ملخص:
موضوع الصِّلة بين الألفاظ ومعانيها أثار جدلاً واسعًا بين علماء اللُّغة والفلاسفة في القديم والحديث، وانقسمت الآراء إزاء هذه القضيَّة إلى فريقين:
فالفريق الأوَّل: كان يرى أنَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى طبيعيَّة، وأنَّ الألفاظ توحي بمعانيها، وهذه العلاقة إمَّا ذاتية أو مكتسبة.
والفريق الآخر: ذهب إلى أنَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست طبيعية، وأنَّ ألفاظ اللغة اعتباطيَّة، ولا يمكن أن تخضع لأيِّ نوعٍ من التعليل أو التفسير. وكلا الفريقين استدلّ بحججٍ وبراهين ليدعم وجهة نظره.
غير أنَّ المنطق يقتضي أن تُتبع هذه القضيَّة في جذورها الأولى عند فلاسفة اليونان - ومن قبلهم الهنود - وعلماء العَرب القدامى ، ثمَّ المُحدَثين من الغربيين وعلماء العربيَّة لتجلية موقفهم من العلاقة بين اللفظ والمعنى، وارتباطها بالظَّاهرة الاشتقاقيَّة.

تمهيد الدراسة:

تكمن أهمية دراسة الصلة بين اللفظ والمعنى في النقاط التالية:

- أنّ الدلالة هي جوهر الظاهرة اللغوية، والمعنى هو الثمرة النهائية لدراسة اللغة، ودراسة الصلة بين الألفاظ ومعانيها من أهم موضوعات علم الدلالة المتفرع عن المستويات اللغوية الوصفية.
- أنّ دراسة الصلة بين الألفاظ ومعانيها أهم مباحث علم الدلالة، فعلم الدلالة هو العلم الباحث في ما بين الألفاظ والمعاني من صلات. وهو العلم الذي يعنى بدراسة نظرية المعنى، وهو العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى.
- للألفاظ أهميتها في المجتمع والحياة الإنسانية، ومن هنا كان الاهتمام بدراسة العلاقة بين الصوت والمعنى في عملية الاتصال، ودراسة توصيل المعنى الذي يعد محور الدراسات اللغوية.
- المعنى يلعب دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي بدءًا من التحليل الفونيمي، مرورا بتطبيقات عديدة لعلم اللغة، مثل: طرق الاتصال، وتعليم اللغة، والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة.
- أهمية دراسة المعنى في عملية التفكير، فالمعنى يمثل وحدة التفكير اللغوي.
- دراسة الصلة بين الألفاظ والمعاني من الوسائل المعينة على تذوق النصوص تذوقا سليما، وفهمها ونقدها وتحليلها، ودراسة إيحاء الألفاظ، ويدخل في سائر فروع الأدب ونقده.
- جوهر الدراسات النفسية اللغوية تقوم على دراسة تأثير اللفظ وتداعياته على المستمع، وكيفية اكتساب المعاني، وعديد النظريات النفسية اهتمت بالعلاقة بين اللفظ والمعنى.

ووجد الباحث أنّ دراسة العلاقة بين اللفظ والمعنى بين القدماء والمحدثين موضوع ذو بدايات، وجذور، وهو متشعب في كتب الأصول وعلم الألسنيات والفلسفة والمنطق، ويحتاج إلى نوع من التنظيم والبحث العلمي المستوعب لتاريخ هذه الدراسة ومصادرها، ومن ثم حاولت الدراسة لم شتات الموضوع، والإحاطة به من جوانبه المختلفة دون إطالة على وفق العناوين الفرعية المندرجة تحت العنوان الرئيسي.
وهذه العناية بالصلة بين االلفظ والمعنى أو الرمز والمقصود أو الدال والمدلول هي من صميم أبحاث علماء النفس والفلاسفة واللغويين والأصوليين، فقد كان اهتمامهم منصبًا في هذا الفرع المهم، ويسعى إلى الإحاطة بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها كمقدمة لدرس سائر أبواب علم الدلالة، والتعمق في مباحثه.

الصِّلة بين الألفاظ ومعانيها.

- **عند القدماء:**

بحث القدماء من فلاسفة اليونانيين والرومان والعرب - ومن قبلهم الهنود- في تلك العلاقة الَّتي تربط بين اللفظ والمعنى، هل هي علاقة طبيعيَّة تخضع للتعليل والتفسير اللُّغوي، وترتبط بأصوات الطَّبيعة ؟ أمْ أنَّها مجرَّد رموز وعلاماتٍ لا تخضع للتعليل أو المنطق أو أي نوعٍ من التَّفسير ؟

" وكان سُقراط وأفلاطون ممَّن يرون أنَّ الصِّلة بين الأصوات والمدلولات طبيعيَّة حتميَّة، في حين أنَّ أرسطو كان يراها صِلة لا تَعدو أنْ تكون بمثابة رمز اصطلح النَّاس على وضعه ومدلوله "[١].

ولمَّا رأى القائلون (بالصِّلة الطبيعيَّة بين الألفاظ ومعانيها) غموضَ هذه الصِّلة بين ألفاظ لُغتهم اليونانيَّة ومدلولاتها، ولم يَستطيعوا لها تَعليلا مقبولا تستريح إليه النَّفس، وتَطمئنُّ إليه العُقول، أخذوا يفترضون أنَّ تلك الصِّلة الطَّبيعيَّة كانت واضحة سهلة التَّفسير في بدء نشأتها، ثُمَّ تطوَّرت الألفاظ، ولم يَعُدْ من اليسير أنْ نتبيَّن بوضوح تلك الصِّلة، أو نجد لها تعليلا وتفسيرًا. وأخذ سُقراط يُمنِّي النَّفس بتلك اللغة المثالية التي تربط بين ألفاظها ومدلولاتها ربطًا طبيعيًّا ذاتيًّا كتلك الألفاظ المُشتَقة من أصوات الطَّبيعة من حفيفٍ وخريرٍ وزفير[٢].

" ولم يكنِ الهنود أقل اهتمامًا بمباحث الدلالة من اليونانيين، فقد عالجوا منذ وقتٍ مبكر جدّا كثيرًا من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجُمل، بل لا نُغالي إذا قُلنا إنَّهم ناقشوا مُعظَم القضايا التي يَعتبرها علم اللُّغة الحديث من مباحث علم الدلالة "[٣]

وقد " جذبَ موضوع (العَلاقة بين اللفظ والمعنى) اهتمام الهنود، ربَّما قبل أنْ يجذب اهتمام اليونانيين، وتعدَّدت حوله الآراء، فمنهم من رفضَ فكرة التَّبايُن بين اللفظ والمعنى قائلا: إنَّ كلَّ شيءٍ يُتصوَّر مُقترنًا بالوحدة الكلاميَّة الدَّالة عليه، ولا يُمكن فصلُ أحدهما عن الآخر. وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصرًا من العناصر المكوِّنة للشَّيء تمامًا كما نعتبر الطِّين السبب المادي أو الرَّئيسي لكلِّ المواد التُّرابيَّة.

ومنهم من صرَّح بأنَّ العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعيَّة. **وربَّما كان أصحاب هذا الرَّأي هم أنفسهم الذين يعتبرون نشأة اللُّغة على أساس من محاكاة الأصوات الموجودة في الطَّبيعة**، ومنهم من قال بوجود علاقة ضروريّة بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزوميَّة بين النَّار والدُّخان، ومنهم من رأى أنَّ الصِّلة بين اللفظ والمعنى مجرَّد علاقة حادثة، ولكنه طبقًا لإرادة إلهيَّة "[٤].

" وقد سلك علماء العربيَّة القدماء المسلك نفسَه الَّذي سلكه فلاسفة اليونان في فهم الصِّلة بين الأصوات والمدلولات، بل رُبَّما قد غالى بعضهم فيه، فوثَّقوا من تلك الصِّلة"[٥]، وجرى بينهم نقاشٌ وجدلٌ حول هذا الموضوع، واختلفوا في كيفيَّة دلالة الألفاظ على معانيها، ونوعُ العلاقة بين اللفظ ومدلوله، وعلَّة اقترانهما وذلك بمناسبة البحث في أصل اللُّغة، هل هو تواضُعٌ واصطلاح؟ أم توقيف ووحي؟[٦].

وتذكر مصادر عديدة هذا الخلاف في طيَّاتها، مثل كتب أصول الفقه وكتب التفسير الجامعة، والمهتمون بقضايا اللغة والبحث في الألفاظ ونشأتها، فقد اهتمَّ الأصوليون بإيراده لاهتمامهم بدلالة الألفاظ[٧]، وأورده بعض المُفسِّرين[٨] عند تفسير قوله تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} سورة البقرة آية (٣١) ، وذكر هذا الخلاف بعض اللغويين كابن جني في خصائصه، والسُّيوطي في مزهره[٩]، ، وغيرهم، ونستطيع تلخيص ما أوردوه في دلالة الألفاظ على معانيها في استظهار آراء الفريقين على النحو الموالي:

□الفريق الأوَّل: القائلون بالمناسبة الطَّبيعيَّة بين الألفاظ ودلالاتها.

و" قد مال – هذا الفريق- إلى الاقتناع بوجود التَّناسب بين اللفظ ومدلوله، في حالتي البساطة والتَّركيب، وطوري النَّشأة والتَّوليد، وصورتي الذَّاتية والاكتساب"[١٠]، ودفعهم ذلك إلى تعليل ألفاظ اللُّغة، وأكثرهم كان يرى أنَّ مبدأ اللُّغات توقيفي، أو أنَّها نشأت عن محاكاة الأصوات المسموعات[١١].

---

[١]) دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص٥٦.
[٢]) ينظر: دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص٦٣.
[٣]) البحث اللغوي عند الهنود، لأحمد مختار عمر، ص٩٩.
[٤]) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص١٩.
[٥]) من أسرار اللغة، لإبراهيم أنيس، يُنظر: (الأصوات اللُّغويَّة والمنطق)، ص١٢١.
[٦]) يُنظر: (فقه اللغة وخصائص العربيَّة) لمحمد المبارك، ص١٨٨.
[٧]) ينظر على سبيل المثال: المحصول في علم الأصول للرازي، في باب (البحث عن الواضع)، ١٨١/١، ١٩٢ وما بعدها، والمستصفى لأبي حامد الغزالي، ١٨١/١. وغيرهما.
[٨]) ينظر على سبيل المثال: (تفسير الرازي)، ١٩/١، وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١٨/١ ..وغيرهما.
[٩]) ينظر: (المزهر في علوم العربية)، في بداية الكتاب، ١٧/١.
[١٠]) دراسات في فقه اللُّغة، لصبحي الصَّالح، ص١٤٢.
[١١]) يُنظر: (الخصائص) في باب (القول على أصل اللغة ، أإلهام هي أم اصطلاح؟)، ٤٠/١.

وكان دافعهم إلى هذا القول اكتشافهم وجود صلة بين بعض الأصوات وما ترمز إليه، وذهب بعضهم إلى أبعد من هذا وهو دلالة الصَّوت أو الحرف في الكلمة على المعنى[١]، كما هو الأمر عند ابن جنِّي وغيره من علماء العربيَّة مما قد ذُكِر سابقًا[٢].

وممن يرى هذا الرأي وبالغ فيه (عبَّاد بن سليمان الصَّيمري)، الَّذي كان يعتقد " أنَّ بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أنْ يضعَ قال : وإلاّ لكانَ تخصيصُ الاسم المُعيَّن بالمُسمَّى المُعَّين ترجيحاً من غير مُرَجّح "[٣].

" **وقد أثَّر** عبَّاد في طائفةٍ من اللُّغويين ظلَّتْ تَدين بهذه المُناسبة الطَّبيعيَّة بين اللَّفظ ومدلوله، ويرى عبَّاد أنَّ هذه المناسبة ذاتيَّة موجبة بمعنى أنَّها لا تتخلف ولا بُدَّ من وجودها، وإن كنا أحيانًا لا نستشعرها أو لا نفهمها "[٤].

" وكان بعضُ مَنْ يرَى رأْيَه يقول: إنه يعرِفُ مناسبةَ الألفاظ لمعانيها، فَسُئل ما مُسَمَّى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر فقال : أجدُ فيه يُبْساً شَديداً وأراهُ الحَجر"[٥].

وهذه المُناسبة الطَّبيعيَّة بين اللفظ ومدلوله قد تنبَّه إليها علماء اللُّغة القدامى، كالخليل وسيبويه، بل لقد نبَّه عليها الأخيران تنبيهًا شديدًا سمح لابن جنِّي أن يقول: إنَّ هذا موضع شريف لطيف، وقد تلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحَّته "[٦].

وذكر السُّيوطي: **أنَّ** أهلَ اللُّغة والعربيِّة قد كادوا يُطْبقون على ثبوتِ المناسبة بين الألفاظ والمعاني، وأنَّ الفرقَ بين مذهبهم ومذهب عبّاد: أنَّ عبَّادا يراها ذاتية موجبة بخلافهم[٧].

يقول إبراهيم أنيس:" ومع أنَّ معظم اللُّغويين من العرب لا يأخذون بهذا الرَّأي، نرى كثيرًا منهم يربطون في مؤلَّفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطًا وثيقًا يكاد يُشبه الصِّلة الطَّبيعيَّة أو الذَّاتيَّة، ولعلَّ السِّرَّ في هذا الاتِّجاه هو اعتزازهم بتلك الألفاظ العربيَّة، وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخباياها "[٨].

بل واعتقدوا أنَّ في كلِّ حرفٍ من أحرف العربيَّة دلالة خاصَّة موحية[٩]، " وأنَّ كلَّ حرفٍ منها يَستَقلُّ ببيان معنى خاص ما دام يستقلُّ بإحداث صوتٍ مُعيَّن. وكلُّ حرف له ظِلٌّ وإشعاع، إذ كان لكلِّ حرف صدىً وإيقاع، وأنَّ في تقديم ما قدِّم من الحروف، وتأخير ما أخِّر، وترتيبها على نحوٍ مُعيَّن، أسرارًا مُدهشة يعجب الباحث اليوم كيف استنبطوها، ويكادُ يسلِّم بها، ولو استشعر فيها كثيرًا من التَّكلُّف "[١٠].

الفريق الآخَر: يرى أنَّ دلالة الألفاظ على معانيها اصطلاحيَّة عُرفيَّة.

وهو ما ذهب إليه جمهور علماء العربيَّة. فقد مالوا إلى القول بأنَّ الألفاظ رموزٌ وعلامات، وأنَّها لا تخضع إلى تعليل، ومن أقوالهم المأثورة: (الأسماءُ لا تُعلَّل)[١١]. ومما يؤيِّد ذلك ما ورد عن الخليل:" قُلْتُ لأَبي الدَّقيش: ما الدَّقْش والدُّقَيش؟ قال: لا أدري. قلت: فاكتنيتَ بكُنيَةٍ لا تدري؟ قال: إنَّما الكُنَى والأَسماءُ عَلاماتٌ، مَنْ شاءَ تَسَمَّى بما شَاء، لا قياس ولا حتم "[١٢].

---

[١] يُنظر: (التَّحليل اللُّغوي في ضوء علم الدلالة)، لمحمود عكاشة، ص٢١.

[٢] ينظر: التفسير الاشتقاقي للألفاظ، د. عبد الله بن أحمد القليصي، المبحث الثاني من الفصل الأول: (منهج ابن جني في التفسير الاشتقاقي للألفاظ).

[٣] ذكره السيوطي في مزهره، ٤٧/١ ونسبه إلى المعتزلة، وفي (المحصول في علم الأصول) ، للرازي، ١٨١/١.

[٤] دراسات في فقه اللغة، صبحي الصَّالح، ص١٥٠.

[٥] المزهر في علوم العربيَّة، للسُّيوطي، ٤٧/١.

[٦] في الخصائص، باب (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، ١٥٢/١. يقول صبحي الصَّالح: " على أنَّ ابن جنِّي يظلُّ رائد اللغويين القُدامى الَّذين لاحظوا هذه الظَّاهرة، وقرَّروها " دراسات في فقه اللغة، ص١٥١.

[٧] يُنظر: (المزهر في علوم العربيَّة)، ٤٧/١. وتفسير الرَّازي في المسألة التَّاسعة والعشرون حيث يقول: دلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية ، خلافاً لعباد ١٨/١.

[٨] دلالة الألفاظ، ص٦٤.

[٩] بل وتفرَّع عن ذلك ما عُرف بعلم (أسرار الحروف)، وأنَّ طبائع الحروف وأسرارها ساريةٌ في الأسماء، مؤثرةٌ في الكون، واشتهر هذا العلم عند غلاة المتصوِّفة، يُنظر: (مقدِّمة ابن خلدون)، الفصل التَّاسع والعشرون، ورسالة أسباب حدوث الحروف، لابن سينا، ٣٠٧/١.

[١٠] دراسات في فقه العربيَّة، لصبحي الصَّالح، ص١٤٩.

[١١] يُنظر: البحر المحيط، لأبي حيَّان، ١٧٣/٢.

[١٢] كتاب العين، مادة (دقش). ٣٤/٥ ووردت في مادة (ع ك ش) بلفظ: (وقلنا) ينظر: ١٩٠/١. وروي ذلك عن الليث كما في تهذيب اللغة، ١٣٥/٣، قال: " سألتُ أبا الدُّقيش؛ فقلت: ما الدَّقْشُ؟ فقال لا أدري، فما الدُّقَيْشُ؟ قال ولا هذا، قلت فاكْتَنَيْتَ بما لا تدري ما هو. قال: إنما الكُنَى والأسماءُ علاماتٌ " . وعن يونس بن حبيب كما في جمهرة اللغة ٢٦٩/٢، ولسان العرب ٣٠٢/٦.

وأيَّد هذا الرَّأي ابن فارس في الصَّاحبي، يقول: " قال قوم: الأسماءُ سِماتٌ دالَّة عَلَى المُسَمَّيَّات، ليُعرَف بهَا خطاب المخاطب. وهذا الكلام محتمِل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سِمَة كالعلامة والسِّيماء. والآخر أن يقال: إنه مشتق من (السِّمَة). فإن أراد القائل أنها سِمات عَلَى الوجه الأول فصحيح"[١].

وممن ذهب إلى هذا القول من علماء وفلاسفة المسلمين: ابن سينا والغزالي والرَّازي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم [٢]، حيثُ أكَّدوا أنَّ الألفاظ ليست إلاَّ علامات وسمات، وأنَّها تتداعى في الأذهان، وترتسم في الخيال.

وإلى هذا المعنى أشار الرَّازي في تفسيره، يقول: " للألفاظ دلالاتٌ على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان؛ ولهذا السَّبب يقال : الألفاظ تدلُّ على المعاني؛ لأنَّ المعاني هي التي عناها العاني ، وهي أمور ذهنيَّة "[٣].

وفي موضع آخر من تفسيره يقول:" المعنى اسمٌ للصُّورة الذِّهنية لا للموجودات الخارجية؛ لأنَّ المعنى عبارة عن الشَّيء الذي عناه العَاني وقصَده القاصد ، وذاك بالذَّات هو الأمور الذهنية "[٤].

ومن قبله أكَّد هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني[٥]، في دلائل الإعجاز، يقول: " وليتَ شِعْري هل كانتِ الألفاظ إلاَّ من أجل المعاني؟ وهل هي إلاَّ خَدَمٌ لها، ومصرَّفَةٌ على حُكمها؟ أو ليست هي سماتٍ لها؟ وأوضاعاً قد وُضِعَتْ لِتَدُلَّ عليها؟ فكيف يُتَصور أنْ تَسبق المعاني؟ "[٦].

ويُقرِّر هذه الفكرة في أكثر من موضع في كتابه، وأنَّ الحروف عبارة عن دلالات وعلامات، ومنها قوله: " وذلك أنَّ نَظْمَ الحروف هو تواليها في النُّطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا النَّاظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً من العقل اقتضى أنْ يتحرَّى في نظمه لها ما تحرَّاه. فلو أنَّ واضع اللُّغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدِّي إلى فساد"[٧].

ويجر هذا الكلام قضايا أخرى تتعلق بنشأة اللُّغة وما يرتبط بها من خلاف، آثرتُ الإعراض عنها خشية الإطالة من غير طائل.

- **دلالة الألفاظ على معانيها عند علماء اللُّغة المحدثين:**

استمرَّ الجدل حول دلالة الألفاظ على معانيها، وحاول علماءُ اللُّغة المُحدَثون في أوربا إعادة النَّظر في التَّركة التي خلفها لهم فلاسفة وعلماء اللغة القدامى في مباحثهم، ومن تلك القضايا دلالة الألفاظ على معانيها. " وقد ظلَّ الدَّارسون في الجامعات الأوربيَّة الذين ينتصرون لفكرة الصِّلة العقليَّة بين الأصوات والمدلولات حتَّى أواسط القرن التَّاسع عشر[٨] ".

ويُلخِّص إبراهيم أنيس موقف المحدثين من دلالة الألفاظ على معانيها، يقول: " واستمر الجدل العلمي بين لُغويي أوربَّا حتَّى كانت تلك النَّهضة اللُّغويَّة في أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل العشرين، حين نهضت دراسة الأصوات Phonetice وأصبح معظم اللُّغويين يؤثرون الدِّراسة الآليَّة لمُعظم ظواهر اللُّغة، وصارت الغلبة لأولئك المعارضين في مبدأ الرَّبط بين الأصوات والمدلولات، وتكاد أدلتهم تنحصر في أمورٍ ثلاثة:

١- أنَّ الكلمة الواحدة في اللُّغة الواحدة قد تُعبِّر عن عدَّة معانٍ، وهو ما نُسمِّيه بالمشترك اللفظي، ولا نستطيع إنكاره أو إهماله.

٢- أنَّ المعنى الواحد قد يُعبَّر عنه بعدَّة كلمات مختلفة الأصوات، وهو ما يُسمَّى بالتَّرادف الّذي نلحظه في كلِّ لغة، ولا سيما اللُّغة العربيَّة.

---

[١]) الصَّاحبي، (باب القول على الإسم من أيِّ شيءٍ أُخذ)، ١٨/١.
[٢]) يُنظر: (الدلالة اللفظيَّة) لمحمود عكاشة، ص٣١.
[٣]) تفسير الرَّازي (فخر الدين محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ)، في المسألة الخامسة والثَّلاثين، (اللفظ يدلّ على المعنى الذِّهني لا الخارجي)، ١٩/١. ويُنظر: المسألة الثالثة والثلاثون : اللفظ المفرد لا يفيد البتة مسماه، ١٨/١.
[٤]) المسألة التاسعة والثَّلاثون من تفسيره (المعنى اسمٌ للصُّورة الذِّهنيَّة)، ٢٠/١. وينظر: كتابه (المحصول)، في البحث الثَّالث: في أنَّ الألفاظ ما وُضعت للدَّلالة على الموجودات الخارجيَّة، بل وُضعت للدَّلالة على المعاني الذِّهنيَّة، ٢٠٠/١.
[٥]) إمام البلاغيين، ت (٤٧١هـ).
[٦]) دلائل الإعجاز، ص١٢١.
[٧]) دلائل الإعجاز، في (الفرق بين الحروف المنظومة والكلم المنظومة)، ص١٧.
[٨]) من أسرار اللُّغة، لإبراهيم أنيس، ص١٢٢.

٣- أنَّ الأصوات والمعاني تخضعُ للتَّطوُّر المستمر على توالي الأيَّام، فقد تُطوَّر الأصوات وتبقى المعاني سائدة، كما قد تتغيَّر المعاني وتظلُّ الأصوات على حالها "[١].

ومن كلامه السَّابق يتَّضح أنَّ أكثر علماء اللُّغة المحدثين في أوربا كانوا يميلون إلى القول باعتباطيَّة اللُّغة، ومن أشهر من تبنَّى هذا القول من علماء الألسنيَّة المحدثين (دي سوسير)[٢]، فقد ذهب إلى القول: " إنَّ الرَّابط بين الدَّال والمدلول رابطٌ اعتباطيٌ "، فلا يدلُّ الاسم على معنى في نفسه، بل بوضعه لهذا المعنى[٣].

" وكانت فكرة اعتباطيَّة اللُّغة هي قطب الرَّحى الحقيقي لتصوُّر اللُّغة بأنَّها بنية شكليَّة من علاقات مختلفة، ومن ثمَّ لا يوجد شيءٌ أنسب لإيجاز مُقتضب لمفاهيم دي سوسير الأساسيَّة من تحديد الخِلاف حول مبدأ الاعتباطيَّة "[٤].

وقد جَذب هذا الرأي العديد من علماء اللُّغة، وتبعوا دي سوسير في رؤيته لدلالة الألفاظ وقضايا الألسنيَّة الحديثة، ومنهجه في البحث في اللُّغة الَّذي يعتمد على دراسة ظواهر اللُّغة دراسة وصفية آليَّة[٥].

ويرى (فندريس): إنَّه من الحُمق الحُكم بوجود علاقة ضروريَّة بين أصوات الكلمة ودلالاتها، وأنَّ :" كُلَّ كلمةٍ أيًّا كانت تُوقِظ دائمًا في الذِّهن صورة ما، بهيجة أو حزينة، رضيَّة أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، مُعجبة أو مضحكة، تفعل ذلك مستقلَّة عن المعنى الَّتي تُعبِّر عنه، وقبل أنْ يُعْرف المعنى في غالب الأحيان .. فإدراكنا للأشياء خاضعٌ لانطِباعاتٍ فُجائيَّة منبَعِثة من الاسم الَّذي يدُلُّ عليها "(٦).

ومن أشهر علماء اللغة الغربيين (ستيفن أولمان) الَّذي نحا رأي سابقيه، وذهب إلى أنَّ الثَّروة اللفظيَّة للُّغة تتكوَّن من مجموعتين كبيرتين: كلمات تقليديَّة عرفيَّة (Conventional)، وكلمات مولَّدة بدافع الحاجة والضَّرورة (Motivated) "[٧].

ويقول عن العلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى: " والملاحظ أنَّ المعنى دائمًا يَعظُمُ شأنُه ويرقى إذا ما صاحبتهُ المُؤثِّرات الصَّوتيَّة التوقيعيَّة الخالصة، .. وقد تؤدي شدَّة التَّأثُّر بالباعث الصَّوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقادًا غامضًا في وجود مُطابقة خفيَّة بين الصَّوت والمعنى"[٨].

ويرى أنَّ المتكلِّم والجماعة اللُّغوية لهما الأثر الكبير في تحديد العلاقة بين كلمتين، أو ما يُسمَّى بالعلاقة المكتسبة، يقول: " ومهما يكن من أمر فإنَّ المرجع النِّهائي في هذه الأمور كلِّها إنَّما هو المتكلِّم، أو قل إنَّما هي الجماعة اللُّغويَّة، فإذا كان هناك شعورٌ عام بوجود علاقة بين شيئين، فالعلاقة إذن موجودة بالفعل، وتُصبح هذه العلاقة – تلقائيًّا – حقيقة من حقائق اللُّغة، بقطع النَّظر عمَّا إذا كان لها أساس تاريخي أم لا"[٩].

وعلى الرَّغم من كثرة القائلين باعتباطية اللغة من العلماء الغربيين، فإنَّ فريقًا منهم مال إلى القول بوجود التَّناسب الطَّبيعي بين الألفاظ ودلالاتها، واقتنعوا برمزيَّة اللغة وبإيحاء الألفاظ بمعانيها.

ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ الكلمات بدأت واضحة الصِّلة بين أصواتها ودلالاتها، ثُمَّ تطوَّرت تلك الأصوات أو تلك الدلالات، وأصبحت الصِّلة غامضة علينا[١٠].

ويميل بعض الباحثين الغربيين إلى أنَّ هناك ألفاظًا في كلِّ لُغَةٍ تظهر في أصواتها هذه المُناسبة الطَّبيعية واضحة، وأنَّ بعض الأصوات أقدر من بعضها على التَّعبير عن معانٍ معيَّنة، وحتَّى أولئك المُتكرين للارتباط بين اللفظ والمعنى اعترفوا بهذا القدر من الارتباط[١].

---

[١]) من أسرار اللُّغة، ص١٢٣.

[٢]) فرديناندي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣)، رائد الدراسات اللغوية الوصفيَّة في القرن العشرين، من أشهر كتبه: (منهج علم اللغويات العامة) أو محاضرات في علم اللغة العام أو في الألسنية العامة.

[٣]) يُنظر: (القضايا الأساسيَّة في علم اللُّغة)، لكلاوس هيشن، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ص٢٩، وعلم اللغة، لمحمود السعران، ص٢٧٧، و(سر الليال في القلب والإبدال، المقدمة ومختارات) لمحمد الهادي ص٩٨، نقلا عن دروس في الألسنيَّة العامة، لفرديناندوسوسير ، ص١١١.

[٤]) القضايا الأساسيَّة في علم اللُّغة، لكلاوس هيشن، ترجمة: سعيد حسن بحيري، ص٣٩.

[٥]) ينظر: (المستشرقون والمناهج اللغويَّة)، لأحمد عمايرة، ص٩١، وعلم اللغة، لمحمود السعران، ص ٢٤٦. و(اللغة بين المعيارية والوصفيَّة) لتمّام حسَّان، ص١١٠.

[٦]) اللغة، لفندريس، في المقدمة، وص١٥، ودلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص٧٨.

[٧]) دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ص٩١.

[٨]) دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ص٩٥، ٩٦ وما بعدهما.

[٩]) دور الكلمة في اللغة، ص١٠٢.

[١٠]) دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص٦٨.

" وقد ابتُدعت عدَّة نُظُمٍ دقيقة تَرمي إلى بيان القِيمة التَّعبيريَّة الفنِّية المُتَّصلة بالأصوات المختلفة، وأشهر هذه النُّظم ذلك النِّظام الَّذي وضعه العالم الرَّمزي الفرنسي رمبو (Rimbaud) "[٢].

ويؤكِّد أصحاب رمزية الألفاظ[٣]، أنَّ كلمات اللُّغات تزداد مع الأيَّام إيحاءً للدَّلالات، وتكتسب الألفاظ بمرور الزَّمن قدرًا أكبر من تلك الرَّمزيَّة[٤]، " وكان من خصائص المذهب الرَّمزي في الأدب أنْ يستخدم الكلمة ليدُلَّ بها دلالة طبيعيَّة على المعنى "[٥].

• دلالة الألفاظ على معانيها عند علماء اللغة العرب المُحدثين.

جذب هذا الموضوع اهتمام الباحثين من علماء اللُّغة العرب المعاصرين، وبحثوه في كتبهم، وتتبَّع مَن تعرَّض لهُ منهم جذوره عند فلاسفة اليونان وعلماء العربيَّة والأصوليين وعلماء الغرب المحدثين، وتأثَّر جمهورهم بوجهة نظر الغربيين المحدثين إلى اللُّغة ودلالة الألفاظ.

ويمكن تلخيص مواقف المحدثين من علماء اللُّغة العرب على النَّحو الموالي:

الفريق الأوَّل: القائلون بالتَّناسب الطَّبيعي بين الألفاظ ومعانيها.

وهؤلاء العلماء بحثوا خصائص العربيَّة وأسرارها، وأدهشهم ما رأوا فيها من حكمةٍ وجلال، وعُنوا بألفاظها، وساروا على خُطى القدماء في تتبُّع أسرارها والكشف عن جواهرها المخبوءة.

ومن أشهر هؤلاء العلماء الَّذين قالوا: " إنَّ العلاقة بين اللفظ ومدلوله هي علاقة مناسبة طبيعيَّة، وليست اعتباطيَّة لا تعليل لها "[٦] في العصر الحديث، أحمد فارس الشِّدياق، ومصطفى صادق الرَّافعي، وعبد الله العلايلي، وعبد الله أمين وغيرهم، وقد أكَّدوا على ما تتمتَّع به العربيَّة من خاصيَّة التَّناسب الطَّبيعي في ألفاظها، وموسيقيَّتها ومنطقيَّتها، وأنَّ أغلب كلماتها تشي بمعانيها[٧].

يقول الشِّدياق: " فأنت ترى أنَّ العرب قد لحظت مناسبة الألفاظ للمعاني، وأئمة اللُّغة قد جعلت هذا النَّوع من خصائص اللُّغة ومحاسنها ومزاياها "[٨]، بل ويؤكِّد الشدياق على أنَّ **"معظم اللُّغة مأخوذة من حكاية صوت"**[٩].

وقد " كان من الطَّبيعي أن تبقى الصِّلة بين اللفظ ومدلوله، في دراسة الشِّدياق صلةً ذاتيَّة، فتتميَّز الدَّلالة بنوعها الصَّوتي المستمدّ من طبيعة بعض الأصوات، فهو قد ارتضى نظريَّة المحاكاة أساسًا في مولد اللُّغة "[١٠].

وممَّن يرى المناسبة الطَّبيعيَّة للكلمات العربية، ويرى للحرف العربي قيمة ودلالة، عبد الله العلايلي الذَي يكاد يلتقي والشِّدياق في منهجه المعجمي كما طبَّقه في معجمه (المعجم)، وقد نسبه بعض الباحثين إلى الغلو حين أثبت للحروف قيمة ودلالات معنويَّة مستقلَّة في جداول خاصَّة[١١].

فقد ذهب إلى القول بأنَّ " كلّ حرف في اللُّغة يتضمَّن معنى شاملا، ويسمِّيه (الوحدة الاشتقاقيَّة الكُبْرى)، وهو مع غيره من الحروف يتعدَّل ويُكوِّن المعنى الخاص للجذر "[١٢].

---

[١] يُنظر: (اللُّغة) لفندريس، ص٢٣٦.

[٢] دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ص٩١.

[٣] فكرة الرمز وعلاقته بالمعنى ارتبطت في تاريخ علم اللغة بالعالمين (ريتشارد وأوجدن)، اللذان درسا هذه العلاقة في كتابهما (معنى المعنى) الَّذي ظهر عام ١٩٢٣هـ، وفيه حاولا وضع نظرية للعلامات والرموز، بل إنَّ أكثر المذاهب الفلسفية المعاصرة تتوسل بمناهج الرمزية في البحث للكشف عن الدَّلالات في الأعمال الفنِّية والأدبيَّة.. ينظر: الكلمة، لحلمي خليل، ص٩٢.

[٤] دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص٧١. ومِمَّن نادوا برمزيَّة الأصوات ودلالتها الجوهريَّة من علماء اللغة الغربيين (جسبرسن)، و (همبلت) و (إيفان فوناجي) و(جوليا كريستيفا) التي ربطتْ مثلا بين الأصوات ومظاهر الغريزة، والأصوات الشَّفويَّة والفم، كما أكَّدت وجود هذه الظَّاهرة بين الإيقاع الصَّوتي، والدلالة في لغة الأطفال والأقوام البدائيَّة، وينظر أيضًا: (سر الليال، المقدمة ومختارات)، ت واختيار: محمد الهادي المطوي، ص١٠٠.

[٥] اللُّغة بين المعياريَّة والوصفيَّة، لتمَّام حسَّان، ص١١١.

[٦] يُنظر: (سرُّ الليال في القلب والإبدال) مقدمة ومختارات من كتاب الشدياق، ت: محمد الهادي، ص٩٥.

[٧] وذكر الشدياق عن بعض اللُّغويين القدامى القول باشتقاق حروف الهجاء وإعطائها قيمة معنويَّة، فلكلّ حرف في نظرهم معنى خاص، للمزيد يُنظر: (الجاسوس على القاموس)، ص٤٠.

[٨] سر الليال، المقدمة ومختارات، ت: محمد الهادي المطوي، ص٩٦.

[٩] سر الليال، المقدمة ومختارات، ت: محمَّد الهادي المطوي، ص٦٤، وص١٧٦.

[١٠] المعجم العربي، لرياض زكي قاسم، ص١٥٣.

[١١] يُنظر: (دراسات في فقه اللُّغة) لصبحي الصَّالح، ص١٥٢. ويُنظر: (المعجم) لعبد الله العلايلي م١ في القسم الرَّابع منه.

[١٢] المعجم لعبد الله العلايلي، م١ القسم الرابع، نقلا عن محمد الهادي في مقدمة تحقيقه (سر الليال)، ص١٠٢.

وممَّن ذهب إلى القول بالمناسبة الطَّبيعيَّة بين ألفاظ اللغة العربيَّة ومعانيها، مصطفى صادق الرَّافعي، فقد قرَّر ثبوتها " لأنَّها في الحقيقة ليست إلاَّ توسُّعًا في المناسبة الأولى التي هيَّأتْ للواضع أنْ يضع بالتَّقليد والمحاكاة "[١].

بل وذهب إلى أبعد من ذلك حين أكَّد على" أنَّ اللُّغة كلَّها حكايةٌ للطَّبيعة، فإنْ كان ثمَّ توقيفٌ أو وحيٌ فيكون في هداية العقول إلى أسرار هذه الحكاية، ولا بُدَّ من استكناه منطِق الطبيعة من الذِّهن الشَّفاف، والبصيرة النَّفَّاذة، والإلهام الخفيِّ الَّذي يُشبْه أنْ يكون قبَسًا من النُّور الإلهي يُضيءُ بين العقل والقلب، فلا يقعُ شُعاعُه على جهةٍ من الطَّبيعة إلاَّ كشف منها عن معاني الأسرار الإلهيَّة "[٢].

ولا يكاد يستقرئ الرَّافعي موضوعًا من مواضيع فقه العربيَّة إلاَّ ويقرِّر ارتباط ألفاظ العربيَّة بالطَّبيعة، وتناسقها وإعجازها، ومما ذكره من ذلك على سبيل المثال " أنَّ فِعل (القطْع) يكاد يكون الأصل في أكثر هذه اللُّغة، فقلَّما تناولتَ مادَّةً إلاَّ رأيْتَ أثَرَهُ المعنوي فيها ولو تأويلاً من طريق المجاز، وهذا أيضًا مما يؤكِّد أنَّ اللُّغة نَطْقٌ من الطَّبيعة "[٣].

ويكاد يُجمع أكثر القائلين بالأصول الثُّنائيَّة في نشأة الألفاظ على تحقُّق المناسبة بين ألفاظ العربيَّة ومعانيها، وأنَّ أكثر هذه الأصول الثُّنائية نشأت عن محاكاة أصوات الطَّبيعة[٤].

بل ويؤكِّد العديد من الباحثين المنصفين على هذه الخاصِيَّة في العربيَّة، وهو ما رأوهُ من تناسب ألفاظها مع معانيها، و" أنَّ اللسان العربي اشتقاقي البُنيان، تَرجعُ كافَّة كلماته إلى صُور صوتيَّة مرئيَّة مقتبسة مباشرة عن الطَّبيعة الخارجيَّة تقليداً للأصوات الحاصلة فيها "[٥].

الفريق الثَّاني: القائلون باعتباطيَّة اللُّغة من علماء العربيَّة المُحدثين.

شايع أغلبُ علماء العرب المحدثين (دي سوسير)، متأثِّرين بما أحدثه من ثورة في علم اللسان الحديث، وبالصَّدى الَّذي أحدثته في أوروبا[٦]، ومالوا إلى القول باعتباطيَّة اللُّغة، وأنَّها بنية أو نظامٌ من العلامات والرموز الَّتي تتكوَّن من شيء مسموع ومن تصوُّرٍ مرتبطٍ به ارتباطاً لا انفصام له، وهذه العلامات لا باعث طبيعي عليها [٧]، وانتصروا لهذا المذهب في كتاباتهم اللغويَّة، وأبحاثهم اللسانيَّة[٨].

وممن ذهب إلى هذا القول إبراهيم أنيس حيث تتبَّع في كتابه (دلالة الألفاظ) جذور هذه القضيَّة عند فلاسفة اليونان منذ أفلاطون وأرسطو وكيف ورث علماء العرب عن اليونان هذا النَّوع من التَّفكير، ثمَّ عرض لمذاهب المحدثين من علماء اللُّغة[٩].

وفي أثناء ذلك وجَّهَ نقدهُ للقدماء القائلين بالمناسبة الطَّبيعيَّة الذَّاتيَّة بين الألفاظ ومدلولاتها، يقول:" وبدا منْ سِحْر الألفاظ في أذهانِ بعضهم، وسيطرتها على تفكيرهم، أنْ ربط بينها وبين مدلولاتها ربطًا وثيقًا، وجعلها سببًا طبيعيًا للفهمِ والإدراك، فلا تؤدِّي الدلالة إلاَّ به، ولا تحظر الصُّورة في الذِّهن إلاَّ حين النُّطق بلفظٍ مُعيَّن .. ومن أجْلِ هذا أطلق هؤلاء المُفكرون على الصِّلة بين اللفظ ومدلوله الصِّلة الطَّبيعيَّة، أو الصِّلة الذَّاتيَّة "[١٠].

ومما يُحسَبُ له أنَّه حاول التَّفريق بين الدَّلالة الطَّبيعيَّة الذَّاتية الموجِبة والدلالة المكتسبة للألفاظ[١١]، يقول:" والأمر الَّذي لم يبدُ واضحًا في علاج كلِّ هؤلاء الباحثين هو وجوب التَّفرقة بين الصِّلة الطَّبيعيَّة الذَّاتيَّة والصِّلة المكتسبة ".

---

[١]) تاريخ آداب العرب، موضوع (الاشتقاق)، ١/١٧٠.
[٢]) تاريخ آداب العرب، موضوع المجاز، ١/١٧٤.
[٣]) تاريخ آداب العرب، موضوع الإبدال، ص١٨١. ونُقل هذا الرأي عن الشدياق أيضًا، يُنظر المبحث الثالث في الفصل الأول.
[٤]) يُنظر: (الفلسفة اللغوية)، لجورجي زيدان، ص٥٥، و(الاشتقاق) لعبد الله أمين، ص١٢٥وما بعدها، ونشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، للأب أنستاس ماري الكرملي، ص٣ وما بعدها.
[٥]) العبقريَّة العربيَّة في لسانها، لزكي الأرسوزي، أحد اللسانيين العرب، نقلاً من (سر الليال) مقدمة محمد الهادي، ص١٠٢.
[٦]) يُنظر: مقدمة (سر الليال)، لمحمد الهادي، ص١٠٠.
[٧]) يُنظر: (علم اللُّغة)، لمحمود السَّعران، ص٢٧٧.
[٨]) ومن هؤلاء العلماء: إبراهيم أنيس في دلالة الألفاظ ومن أسرار اللغة، ومحمود السَّعران في علم اللغة، وفايز الداية في علم الدلالة العربي، ومحمد المبارك في فقه اللغة، وصبحي الصَّالح في دراساته، وعلي عبد الواحد وافي وتمَّام حسان ....
[٩]) دلالة الألفاظ، في الفصل الثالث: (الصِّلة بين اللفظ والدلالة)، ص٦٢ وما بعدها.
[١٠]) دلالة الألفاظ، ص٦٢.
[١١]) وقد عُرض سابقًا لما ورد في المزهر للسيوطي من قوله: " وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يُطبِّقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني لكن الفرقَ بين مذهبهم ومذهب عبَّاد أن عبَّاداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم "، ينظر: ١/٤٧.

ويحاولُ شَرْح مراده من هاتين الدلالتين الطَّبيعيتين، بقوله: " ففي كثير من ألفاظ كلِّ لغة نلحظ تلك الصِّلة بينها وبين دلالاتها، ولكنَّ هذه الصِّلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تُولد بمولدها، وإنَّما اكتسبتها اكتسابًا بمرور الأيَّام، وكثرة التَّداول والاستعمال، وهي في بعض الألفاظ أوضح منها في البعض الآخر .."[١]

وفي كتابه (دلالة الألفاظ) يوجِّه نقده أيضًا إلى علماء العربيَّة الَّذين حاولوا الرَّبط بين الألفاظ ومدلولاتها بالتفسير الاشتقاقي للألفاظ وتعليل المسمَّيات، وسمَّاهم (الاشتقاقيين) كابن دريد، وابن جنِّي وابن فارس وأمثالهم يقول: " وقد أُغرِمَ بعضُ اللُّغويين القُدماء بتلمُّس هذا الرَّبط بين اللفظ ومدلوله، فتراهُم يقولون مثلا: " إنَّما سُمِّي الإنسَانُ إنسانًا؛ لأنَّه مشتقٌّ من النِّسيان، وكثيرًا ما ينسى الإنسان، وبلغ بابن دُريد وعنايته بهذه النَّاحية الاشتقاقيَّة أنْ وضع كتابًا سمَّاهُ (الاشتقاق)، حاول فيه تعليل الأعلام العربيَّة، كأسماء القبائل والأمكنة في جزيرة العرب، فيقول مثلا: " إنَّ قُضاعة سُمِّيت كذلك؛ لأنَّها رحلت من جنوب الجزيرة إلى شمالها، فهي مشتقة من انقضع الرَّجل عن أهله، أي: بَعُد ! "[٢].

ويَنسب ابن جنِّي إلى المغالاة في التماسه الرَّوابط الخفيَّة بين الألفاظ ودلالاتها، وكذلك ابن فارس وما ذهب إليه في معجمه (مقاييس اللُّغة)، ويرى أنَّه بلغ الذُّروة وغالى وأسرف في تلمُّس الصِّلة المشتركة في المعنى العام لعدد من الكلمات التي تشترك في مادة واحدة[٣].

ويرى أنَّ هؤلاء الاشتقاقيين قد اقتبسوا فكرة تقلُّبات الأصول من معجم العين وأمثاله، ويرميهم بالعَنَت والتكلف، يقول: " فلمَّا جاء أصحاب المدرسة الاشتقاقيَّة كابن جنِّي وابن فارس ربطوا أيضًا بين دلالات تلك الصُّور، واستنبطوا معاني عامَّة مشتركة بينها فكلَّفهم هذا الصَّنيع من العَنَت والمشقَّة قدْرًا كبيرًا "[٤].

ويؤكِّد أنَّ " تاريخ الألفاظ غامضٌ؛ ولهذا لا نُغالي فنسلك مسلك الاشتقاقيين من الرَّبط بين الدَّلالات لمُجرَّد الاشتراك في لفظٍ من الألفاظ "[٥].

ووجَّه نقده إلى فئةٍ أخرى غير الاشتقاقيين، اُشتُهروا باستيحاء الألفاظ، والرَّبط بينها وبين ما تدلُّ عليه، وهم الأدباء، يقول: "ولا يسعُ الباحث المُنصِف بعد كل هذا إلاَّ أنْ يَعُدَّ أولئك الَّذين انتصروا بالرَّبط بين الأصوات والمدلولات، قومًا من الأدباء يستشفُّون في الكلمات أمورًا سحريَّة، ويتخيَّلون في منطقها رموزًا وعلامات لا يراها اللُّغوي العَمَلي؛ فخيال الأدباء ولا سيما الشُّعراء منهم هو المسئول الأوَّل عمَّا يُسمَّى بوحي الأصوات، فهم قومٌ شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة، وما يُستشفُّ في ثناياها من معان، ويتَّخذون من أصواتها دلائل وعلامات لا وجود لها إلاَّ في مخيِّلاتهم، بل يُنَقِّبون عمَّا وراء المدلولات، سابحينَ في عالم من الخيال"[٦].

ولذلك أطلق حكمه في هذه القضيَّة بوضوح، يقول: "ولا شكَّ أنَّ الَّذين يُنكرون الصِّلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطَّبيعة اللُّغويَّة. فهم الَّذين يُجرِّدون الظَّواهر اللُّغويَّة من كلِّ غموض، ولا يرون فيها أمورًا سحريَّة فوق المدارك والأذهان، كما كان يحاول القدماء أنْ يُظهروها لنا .."[٧].

ومن هنا يتَّضح موقف إبراهيم أنيس من دلالة الألفاظ على معانيها، والتَّفسير الاشتقاقي للألفاظ، فهو يرى– وكذلك أغلب المُحدثين من علماء اللغة– أنّ " الألفاظ رموزٌ اعتباطيَّة على الدَّلالات، وتعود لاصطلاح النَّاس، وعُرفهم اللُّغويّ "[٨].

فما يُسمَّى بالشَّجرة – مثلا وفق وجهة نظره – يُمكن أنْ يُسمَّى بأيِّ لفظٍ متى اصطلح النَّاس عليه، وتواضعوا على استعماله، فليس في لفظ الشَّجرة ما يُوحي بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها[٩].

وتظل الجذور الأولى لنشأة اللغة ودلالة الألفاظ على معانيها غامضة محيِّرة للعلماء، كما يؤكِّد ذلك إبراهيم أنيس حين يقول: " أمَّا كيف ربَط الإنسان الأوَّل بين الألفاظ ودلالاتها، ولماذا اختصَّ العربيّ (الشَّجرة) بهذا اللفظ، والبحر بلفظٍ آخر، واختصَّتهُما الشُّعُوب الأخرى بألفاظٍ أُخرى، ومتى بدأ أو تمَّ

---

[١]) دلالة الألفاظ، ص٧١.
[٢]) يُنظر: ص٦٦ وما بعدها من كتابه.
[٣]) يُنظر: (دلالة الألفاظ)، ص٦٧، وقد عُرض أطرافٌ من ذلك في رسالتنا في الماجستير (التفسير الاشتقاقي للألفاظ) المبحث الثَّاني في الفصل الأوّل من هذا البحث بعنوان: (ابن جني والتفسير الاشتقاقي للألفاظ) و (ابن فارس ومنهجه في التَّفسير الاشتقاقي للألفاظ).
[٤]) دلالة الألفاظ، ص٦٧.
[٥]) دلالة الألفاظ، ص١٦٣.
[٦]) من أسرار اللُّغة، وقد عقد فصلا بعنوان:" منطق اللغة" والأصوات اللغوية والمنطق.. والأدباء وأثرهم في وحي الألفاظ، ينظر: من ص١١١إلى ص١٦٥
[٧]) المصدر السابق.
[٨]) يُنظر: (دلالة الألفاظ)، ص٧٢، وما بعدها.
[٩]) دلالة الألفاظ، ص٧٢.

للإنسان هذا الرَّبط، فكلّ هذه أسئلة حيَّرت عقول المُفكّرين مُنذُ قرونٍ سحيقة، ولا تزال تُحيِّرها حتَّى الآن"[١].

ومن أولئك القائلين بأنَّ الألفاظ علامات ورموز تدل على معانٍ في الأذهان محمد المبارك، فقد أشار في أكثر من موضع في كتابه القيِّم (فقه اللُّغة وخصائص العربيَّة)، إلى أنَّ ألفاظ اللُّغة لا تخرج عن أنْ تكون رموزًا يشير بها كلُّ جماعةٍ إلى معاني الأشياء التي يقصدونها[٢].

ويرى " أنَّ النَّظريَّة الطَّبيعيَّة التي حاول أصحابها أنْ يُعلِّلوا فيها نشأة أصول الألفاظ الأولى بمحاكاة أصوات الطَّبيعة لا تكاد تثبت للحجَّة والدَّليل، ولا تصدُق إلاَّ في القليل النَّادر من ألفاظ كلِّ لُغة "[٣].

ويرفض ما يصاحب ألفاظ اللغة من تعليلات صوتيَّة، يقول: " أمَّا الألفاظ التي نجد بين جرسها ومعناها تناسُبًا وتوافقًا فربَّما كانت أكثر عددًا، ولكنَّها لا يُحتجُّ بها في هذا الباب، ولا يُمكن أنْ يُعلَّل أصلُ وضْعِها بالتَّعليل الصَّوتي لمجرَّد هذا التَّناسب، مثل: شقَّ ودقَّ وقرع ونفخ .." [٤].

ويسوق بعض الحجج التي تدعم ما ذهب إليه هو وغيره من علماء اللّغة، يقول: " على أنَّ في هذا التَّناسُب شيئًا كثيرًا من العادة والائتلاف عند أهل كلِّ لُغةٍ في الرَّبط بين بعض المعاني، وبعض الأصوات. ولو صحَّت هذه النَّظريَّة لما تعدَّدت اللُّغات، ولتماثلتْ أو تشابهتْ على الأقل "[٥].

ومنهم العالم اللغوي تمَّام حسَّان الذي تحدَّث في كتابه (اللُّغة بين المعياريَّة والوصفيَّة) عن أنواع العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقسَّمها إلى ثلاثة أنواع هي: طبيعيَّة ومنطقيَّة، وعُرفيَّة يقول:" فالعلاقة بين الاسم والمسمَّى غير طبيعيَّة ولا منطقيَّة، ومن الأقوال المشهورة: (الأسماء لا تُعَلّل)، ولكنَّها عُرفيَّة، ونتيجة من نتائج الوضع "[٦].

ويرى أنَّ العلاقة الطَّبيعيَّة بين الرمز والمعنى لا تُوجد في اللُّغة إلا عند الكلام عن دعوى استدعاء أصوات بعض الكلمات كالفحيح والحفيف والخرير والزَّئير والقطع والقطم والقط للمعاني التي سيقت لها هذه الكلمات، وهذه الدلالة الاستدعائية هي التي يقول بها أصحاب المذهب الرمزي في الأدب، ويجعلونها في مقابل الدلالة العُرفيَّة، أمَّا علماء اللُّغة فيسمُّون ظاهرة الاستدعاء الصَّوتي هذه(Onomatopoeia) وقد انتقلت مناقشتها من محيط اليونان القدماء إلى محيط العرب"[٧]. ومن ثم أكّد صراحة على أنّ " الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا "[٨].

ومنهم (فايز الداية)، فقد دعا في كتابه (علم الدلالة العربي) إلى التَّمييز بين حالتين لا يستوي الأمر فيهما، وقد تغيب الفروق عن بعض الدَّارسين، وهما:

١- الدَّلالة اللُّغويَّة بحسب العُرْف اللُّغوي مع كلِّ التَّطوُّرات التي يطرأ عليها في السِّياقات المتعدِّدة، وهذه مرصودة في المعجم وفي الاستعمال، ولا ينطبقُ عليها أيُّ حديثٍ عن صلةٍ طبيعيَّة بين الدَّال والمدلول.

٢- الدلالة الفنِّيَّة والسياقيَّة عامَّة: وهنا نجد أنَّ كثرة استعمالٍ كلماتٍ بأعيانها في مجالٍ اجتماعيٍّ أو علميٍّ أو فنِّيٍّ، تُورث انطباعًا يَربط بين هذه الأجواء والرَّمز اللغوي توهُّمًا أنَّ هذا الصَّوت من الأصوات في الكلمة له صلة طبيعيَّة بالحدَث، أو بالصِّفة أو الشَّيء من الأشياء[٩].

ويشير في مَعرَض حديثه هذا إلى رأيه في دلالة الألفاظ، يقول: " ومردُّ الأمر كما نرى إلى الاعتياد لا إلى حقيقةٍ طبيعيَّة كانت الدَّافع إلى تشكيل الكلمة وتأليفها، واستعمالها في حالة الوضْع اللُّغويّ، إذ هذا الوضْع يعتمِد الاعتباطيَّة .."[١٠]

---

[١]) دلالة الألفاظ، ص٧٤.
[٢]) يُنظر في عنوان: (دلالة اللفظ على المعنى) من كتابه، ص١٦٦.
[٣]) فقه اللغة وخصائص العربيَّة، ص١٨٧.
[٤]) فقه اللغة وخصائص العربية، ص١٨٧.
[٥]) فقه اللغة وخصائص العربيَّة، ص١٨٧.
[٦]) اللُّغة بين المعيارية والوصفيَّة، ص١١١. و(الأصول)، لتمام حسَّان، ص٣١٦.
[٧]) اللغة بين المعيارية والوصفيَّة، ص١١٠. وسبق بيان هذه الفكرة عند إبراهيم أنيس في دلالة الألفاظ، ص٧٠.
[٨]) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص٢٤٤.
[٩]) يُنظر:(علم الدلالة العربي)، ص٢٤، وهو نفس رأي جان كوهين في كتابه (بنية اللُّغة الشِّعريَّة) ص٧٥، ذكر ذلك محمد الهادي في مقدمة سر الليال، ص١٠٠.
[١٠]) علم الدلالة العربي، ص٢٤.

ومنهم صبحي الصَّالح في كتابه (دراسات في فقه اللُّغة) الَّذي تحدَّث فيه عن عناوين مهمَّة في دلالة الألفاظ ومناسبة حروف العربيَّة لمعانيها، وأثر ذلك في الاشتقاق، وأصول النَّظريَّة الثُّنائيَّة العربيَّة، وعن قيمة الحرف في العربيَّة، وتوسَّع في بيان الفرق بين الدلالة الذَّاتية والدلالة المكتسبة للألفاظ[١].

ودفعه ذلك إلى مقارنة القولين والتَّرجيح بينهما، وكاد يذهب إلى المناسبة الطَّبيعيَّة لألفاظ العربيَّة وحروفها، لكثرة شواهدها وظهورها في العربيَّة، " فما جاؤوا بشواهدهم تلك سُدى، ولا ألقوا بها جُزافاً، بل اعتقدوا أنَّ في تقديم ما قُدِّم منها وتأخير ما أُخِّر، وترتيبها على نحوٍ مُعيَّن، أسراراً مُدهشة يعجب الباحث اليوم كيف تنبَّهوا إليها واستنبطوها، ويكادُ يُسلِّمُ بها ولو استشعر فيها الكثير من التَّكلُّف "[٢].

وإذا كاد أهل العَربيَّة يُطبقون على ثبوت المناسبة الطَّبيعيَّة بين الألفاظ والمعاني – كما ذكر ذلك السُّيوطي – فقد أكَّد صبحي الصَّالح هذا المعنى بقوله: " فكان لابُدَّ لنا من الاقتناع بهذه الظَّاهرة اللُّغويَّة الَّتي تُعَدُّ فتحًا مُبينًا في فقه اللُّغات عامَّة "[٣].

ويؤكِّد على هذه المناسبة الطَّبيعيَّة للألفاظ بقوله:" ونحن لا نحتاجُ إلى كبير عناء حتَّى نلمح العلاقة الطَّبيعيَّة بين الأصوات الموضوعة لمحاكاة الأصوات الَّتي تَصْدُر من الحيوانات وأصوات الطَّبيعة، وحكاية الأصوات المعبِّرة عن الانفعالات الإنسانية المختلفة ."[٤].

وهو مع عرضه آراء القائلين بهذه المناسبة الطَّبيعيَّة يحاول التَّفريق بين الدلالة الطَّبيعيَّة الذَّاتيَّة والمكتسبة [٥]، وشَرْحهما على نحوٍ أوضح، وأفرد لهما عنوانًا في كتابه وهو (بين الدَّلالة الذَّاتيَّة والمكتسبة)، ويشمل هذا العنوان كلاً من الحرف البسيط، والأصل الثُّنائي، والبناء الثُّلاثي، والصِّيغ المَزيدة على الأصول في استعمالها الوضعيِّ الأوَّل[٦].

ويرى أنَّ اللفظ الَّذي تُلتمَسُ دلالتُه، ويُستشعر ما بينَه وبين دلالته من التَّناسُب الطَّبيعيِّ، هُو اللَّفظ الَّذي جرى به الاستعمال حتَّى شاع فيه، وأُطلق عليه، وعُرف به، وأنَّ معرفة تاريخ الألفاظ وجذورها الأولى هي الطريق المثلى للتفريق بين الدلالتين الذَّاتيَّة والمكتسبة، يقول: " وأفضل طريقةٍ لمعرفة الفرق بين القيمة التَّعبيريَّة الذَّاتيَّة والقيمة المكتسبة للفظٍ ما، تتمثَّل في تقصِّي الخطوات المنسيَّة الَّتي مرَّ بها هذا اللَّفظ حتَّى تداولته الألسنة بمعنى خاص ودلالة مُعبِّرة .."[٧].

" وهذه الخطوات المنسيَّة– على صعوبة الجزم بنوع المراحل الَّتي مرَّتْ بها، طولاً وقِصراً، واتِّساعًا وضيقًا، ؛ وتصريحاً ورمزًا – لا تُلقي على اللفظ من الأضواء ما يكفي لتحديد اللحظة الَّتي وُلد فيها، ولا لتعيين المدلول الذَّاتي الَّذي يناسبه بعد أنْ تمَّ ميلاده، ولا لتبيان القرائن الَّتي حملت النَّاطقين به على نقله من مفهومٍ إلى آخر، أو على توليد معنى جديد من معناهُ الأصلي القديم "[٨].

ويصل إلى تحديد الفروق بصورة أكثر عُمقًا حين يقول: " وهذا يعني أنَّ لكلِّ لفظٍ نشأة وميلادًا، وأنَّ في كُلِّ لفظٍ اشتقاقًا وتوليدًا، وأنَّ المناسبة الذَّاتيَّة لا تُلتمسُ إلاَّ في اللفظ عند نشأته الأولى، وأنَّ هذه المُناسبة فيما جدَّدهُ الاستعمال من مدلولات ذاك اللفظ إنَّما تُحمَلُ حملاً على المعنى الآصل الأقدم. ولا يخفى حينئذٍ على الباحث اللُّغوي أنَّ المُناسبة الأخيرة لمْ تَنشأ مع اللفظ، ولم تَحضر ميلاده، بل اكتسبتْ إيحاءها ودلالتها من كثرة الاستعمال "[٩].

ويقرِّر أنَّ تلك التعليلات المتكلَّفة كانت لألفاظٍ دلالاتها مكتسبة، وأنَّ هناك تعليلات هي أقرب للصواب في معظمها لألفاظ ذاتية الدَّلالة، ويدل على هذا قوله: "ولا تجد الصِّلة بين اللفظ ومدلوله إلاَّ (مكتسبة) في كُلِّ ما وصمناه بالتَّكلُّف. ولتجدنَّها (ذاتيَّة) لا محالة في واحدٍ من تلك المعاني الطَّبيعيَّة، وهو الَّذي يمكن عدُّه أصل الاشتقاق في تقاليب هذه المادَّة وصورها الَّتي جرى بها الاستعمال "[١٠].

---

[١]) يُنظر: (الفصل الثَّالث) من كتابه، من ص١٤١، إلى ص١٧٢.
[٢]) دراسات في فقه اللغة، ص١٤٥.
[٣]) دراسات في فقه اللُّغة، ص١٥١.
[٤]) دراسات في فقه اللُّغة، ص١٥٢.
[٥]) ومن قبله أشار إليهما السيُّوطي في مزهره، ٤٠/١ ، وعرَّفهما إبراهيم أنيس في دلالة الألفاظ ص٧١.
[٦]) يُنظر: (دراسات في فقه اللُّغة)، ص١٦٩.
[٧]) دراسات في فقه اللُّغة، ص١٦٩.
[٨]) دراسات في فقه اللغة، ص١٦٩.
[٩]) دراسات في فقه اللغة، ص١٦٩.
[١٠]) دراسات في فقه اللغة، ص١٧٠.

ومن تلك الألفاظ التي تظهر دلالتها الذَّاتيَّة على معانيها، الألفاظ الَّتي اشتقَّت من أصوات الطَّبيعة والانفعالات النَّفسيَّة[١]، وهذا ما أكَّد عليه صبحي الصَّالح يقول: " وهناك ألفاظٌ إنسانيَّة اتَّضحتْ دلالتها التَّعبيريَّة الذَّاتيَّة، وبلغتْ من الوضوح أنْ كانت لأصوات الطَّبيعة أشبه برجْع الصَّدى أو ترداد النَّغَم. هذا الضَّرب من الألفاظ الَّتي تحكي الطَّبيعة اصطُلح على تسميته (Onomatoopeia)، وقد اعترف بوجوده في اللُّغات الإنسانيَّة المختلفة كلُّ باحثٍ مُحقِّق يَدْرُس اللُّغة على أنَّها ظاهرة اجتماعيَّة، حتَّى الَّذين عَارضوا مَذهب الصِّلة بين اللفظ ومدلوله في إطاره العام لم يستنكفوا أنْ يعترفوا بوجود هذا الحد الأدنى من (النَّماذج) اللفظيَّة ذات الدلالة الطَّبيعيَّة الصَّريحة "[٢].

وهو مع كل ما ذكره عن تلك الدلالة الطبيعية للألفاظ يذهب إلى القول بأنَّ " ألفاظ اللُّغة ليست إلاَّ رموزًا للتَّفكير، فما أعياها عن تبيان الفروق الدَّقيقة، وعن مسابقة الشُّعور! "[٣].

ويرى عامَّة مَنْ ذَهَبُوا إلى هذا الرأي أنَّ " الكلِمات المُحاكية للأصوات لا تُشكِّل كثرة يُعتدُّ بها في الكلام، أو لا تُشكِّل لغة، ولا نستطيع أنْ نُقيم عليها نظريَّة تقول: إنَّ اللُّغة محاكاة لأصوات الطَّبيعة، كما أنَّ عناصر الطَّبيعة ليست جميعًا أصواتًا "[٤].

ولاحظوا أيضًا " أنَّ اللُّغة تحاكي أصوات الطَّبيعة في الأصوات فقط، لا في المعنويَّات وأسماء الأعيان، وجاءت هذه المُحاكاة على نحوٍ ضيِّق لا نستطيع تعميمها، كما أنَّ ألفاظ المُحاكاة خضعت لقواعد التَّصريف، ولم تعد كلمات جامدة، وليست المُحاكاة الصَّوتيَّة على نحوٍ دقيق، بل هو مُجرَّد تمثيل الصَّوت الإنساني لتلك الأصوات، وهذه المحاكاة الصَّوتيَّة تتباين في اللُّغات مثلها مثل بقيَّة ألفاظ اللغة، ونحن نطلق عليها في اللغة ألفاظًا لا أصواتًا، مثل قولنا: خرير، صهيل، نقيق، ..."[٥].

ويرى بعض الباحثين " أنَّ ما نُسمِّيه مُحاكاة قد يكون اعتباطيًّا، لكننّا توهَّمنا من تشابُه الصَّوت الصَّادر عن الشَّيء بالأصوات الَّتي تتألَّف منها الكلمة، أنَّ هذه الكلمة تحاكي هذا الصَّوت، مثل التَّوهم الحادث من تشابه أصوات كلمتين في لغتين مختلفتين ليس بينهما نسب حدث عنه ذلك، فوقع الظَّن أنَّ الكلمتين لأصلٍ واحد، ولا نسب بينهما "[٦].

ليقرِّروا بعد ذلك، أنَّ " اللُّغَة لو لم تكن اصطلاحًا لما اختلف النَّاس فيها، وتباينت ألسنتُهم، وهذا الاختلاف دليلٌ على اعتباطيَّة الرَّمز، أو عدم وجود مناسبة طبيعيَّة بين اللفظ والمعنى "[٧].

تطبيقات دراسة الصلة بين اللفظ والمعنى في الألسنيات التطبيقية:

اهتمت الدراسات الألسنية الحديثة بالصلة بين اللفظ والمعنى، وجعلته محورا تدور عليه سائر المستويات اللغوية، فتوصيل المعنى غاية الظاهرة اللغوية، والمعنى يلعب دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي بدءًا من التحليل الفونيمي، مرورا بتطبيقات عديدة لعلم اللغة، مثل: طرق الاتصال، وتعليم اللغة، والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة.

ومن ثم كان من أبرز مهمات عالم اللغة تفسير العلاقات اللغوية بين الصوت المنتج والمعنى المراد، وتحديد نظام القواعد العميقة الذي يستعمله كل من المتكلم والمستمع في أداء لغوي فعلي انطلاقا من معطيات الأداء اللغوي الظاهر[٨].

وتبرز تطبيقات علم الألسنيات الحديثة أهمية التعرف على أثر المنطوق به فيما يوحيه إلى الأذهان من صور قد تختلف قوة وضعفا في عديد الموضوعات، وتوظيف هذه المباحث عند اختيار الكلمات في مجالات مهمة مثل: العلاج النفسي وأنواع البرمجة اللغوية، وتلقين الأطفال اللغة، ومخاطبة الجماهير، ومختلف أنواع الدعايات والترويج. ومن أبرز التطبيقات الألسنية التي يتجلى فيها دور المعنى واللفظ، الموضوعات الآتية:

---

١) ينظر: (دلالة الألفاظ)، لإبراهيم أنيس، ص٦٨.
٢) دراسات في فقه اللغة، ص١٧٠. وينظر: (دلالة الألفاظ)، لإبراهيم أنيس، ص٦٨ وما بعدها.
٣) دراسات في فقه اللغة، ص٢٠١.
٤) الدلالة اللفظيَّة، لمحمود عكاشة، ص٣٦.
٥) الدلالة اللفظيَّة، لمحمود عكاشة، ص٣٦.
٦) الدلالة اللفظيَّة، لمحمود عكاشة، ص٣١.
٧) الدلالة اللفظيَّة، لمحمود عكاشة، ص٣١.
٨) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د.سيد جمعة، طبيعة الكلام وفهم اللغة، ينظر: نظرية دوسوسير اللغوية ونظرية تشومسكي التوليدية وغيرهما ص٣١.

الوضع وتغير الدلالة:

لا شك في أنّ مشكلة اللفظ والمعنى منشؤها فكرة الوضع التي قامت عليها نظرية اللغة عند الأصوليين والنقاد والبلاغيين وعلماء العربية؛ ونقصد بها وضع الألفاظ ومسميات الأشياء، وترتبط أيضا بتغير دلالة الألفاظ، وميلها نحو التوسع، أو التضييق، وأحيانا مجرد نقل الدلالة لملابسة المشابهة أو غيرها.

والمعاني الجديدة – كما يؤكد ذلك د. تمام حسان - تتبلور عن طريقة الارتباط بين الصيغة والمعنى، " فإذا نظرنا إلى المعنى باعتباره علاقة بين الصيغة والفكرة، حق لنا أن نقول: إن تغير الدلالة من عصر إلى عصر ليس إلا ربط الفكرة بصيغة جديدة، أو ربط الصيغة بفكرة جديدة، والمعنى بهذا الاعتبار علاقة متبادلة بين الاسم والفكرة، تجعلهما يتداعيان "[١].

وإذا كنا بصدد وضع ألفاظ الحضارة الحديثة فقد تتباين آراؤنا حول أصوات اللفظ أو مدلوله، وقد نختار الكلمات السهلة في النطق، أو تلك الألفاظ التي توحي بدلالتها، ونتجنب الألفاظ الصعبة ونهتم بمدى انتشار الكلمة في المجتمع وقبولها في محيطه.

الطفل واكتساب المعنى:

وهذا الموضوع أثار اهتمام علماء النفس المهتمين باللغة، وأصبح أحد العناوين الرئيسية في الدراسات النفسية اللغوية، فقد درسوا كيفية إدراك الكلام وفهمه، وأوضحوا – عند دراستهم للإدراك – مفاهيم إدراك المعنى، ومنها: العلاقة بين الرمز والمعنى، والوظيفة الرمزية للغة[٢].

واهتموا بوسائل إكساب الطفل لغة المجتمع، وكان أن بحثوا ضمن ذلك (اكتساب الطفل للمعاني)؛ وأكّدوا على أنّ معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع تكوين صور ذهنية ثابتة، أو مفاهيم عن الأشياء والأحداث التي تشير إليها هذه الكلمات، وتصبح الكلمات في النهاية عبارة عن رموز تشير إلى مفاهيم وعلاقات بين المفاهيم، وهو ما نقصده عندما نتكلم عن المعنى[٣].

ووظّف علماء النفس هذا المبحث كمدخل لقياس المعنى الوجداني والاستجابات الانفعالية التي تثيرها الكلمات، وتحديد عناصر المعنى الدلالي للكلمات لدى الفرد، ومقارنة المعنى للكلمة الواحدة لدى الأفراد المختلفين.

اللغة والتفكير:

امتدت أبحاث علماء النفس واللغة والفلاسفة في هذا المجال لدراسة كيفية جعل الكلمة تدل على فكرة، وهذه إحدى جهات إدراك القيمة اللغوية للكلمة، والبحث في الأدوات التي تساعدنا بها الرموز على التفكير بالأشياء، أو تعرقلنا عن ذلك. وأكدوا على أنّ الكلمات لا تدل بنفسها على شيْ، ولكن المفكر يستعملها فيصبح لها معنى، إذ يتخذها أدوات[٤].

الدراسات الفرعية الأخرى:

تعد دراسة الصلة بين اللفظ والمعنى من العناوين المهمة التي أثارت اهتمام البلاغيين ورواد النقد الأدبي، فاستعانوا بها عند تحليل النصوص الأدبية، ودراسة دلالات ألفاظها، ومواقعها، والدلالات الإيحائية، وسحر الألفاظ، وجمالها، ومن ثم دراسة الخطاب والنص والأسلوبية وغيرها من الموضوعات النقدية.

ودرس علماء الاجتماع هذه العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى، تمهيدا لدراسة الدلالات الاجتماعية للكلمات، ومدى تأثير الكلمات في الجماهير، واختيار الكلمات في الترويج والدعاية بمختلف أنواعها.

صفوة البحث

- استعرضت الدراسة الصلة بين الألفاظ ومعانيها عند القدماء والمحدثين، وخلصت إلى أن القدماء بحثوا هذه القضية واهتموا بها، وزاد الاهتمام بها عند المحدثين، واهتموا بتطبيقاتها الألسنية، واتسعت مجالاتها عندهم.

---

[١] مناهج البحث في اللغة، تمام حسان. ص٢٤١.

[٢] ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. سيد جمعة، إدراك الكلام وفهم اللغة، ص٥٥ .

[٣] ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. سيد جمعة، اكتساب اللغة وارتقاؤها، ص٨٨ .

[٤] ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص٢٤٧.

- ترجح الدراسة الرأي القائل باعتباطية اللغة، وأنّ اللفظ يثير في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه، وبينت الدراسة أهمية التعرف على أثر المنطوق به فيما يوحيه إلى الأذهان من صور.
- أوضحت الدراسة تطبيقات دراسة الصلة بين الألفاظ ومعانيها في علم اللغة التطبيقي، وخاصة في مجالي الوضع وتوليد الألفاظ واختيارها في الإعلان والترويج، ودراسة اكتساب الطفل للمعنى، وعملية الإدراك والفهم، ودراسة الدلالات الاجتماعية للكلمات، ومدى تأثير الكلمات في الجماهير، واختيار الكلمات في الترويج والدعاية بمختلف أنواعها.
- كان لدراسة الصلة بين الألفاظ والمعاني أثر كبير في بحوث البلاغيين ودروس النقد الأدبي وتحليل النصوص الأدبية، ودراسة الأسلوبية والخطاب.

أهم التوصيات: يوصي الباحث بـ:

- دراسة الدور التي تلعبه الكلمات والألفاظ باعتبارها جزءا لا يتجزأ من اللغة والاهتمام بتأثير الرموز واللغة في الحياة الإنسانية، وعلى الأخص ما يتعلق منها بالفكر.
- الاهتمام بالعلاقة بين اللفظ والمعنى من النواحي النفسية والاجتماعية والعناية - بشكل خاص - بدراسة العلاقة بين اللغة والتفكير ودراسة نظرية المعنى من المنظور النفسي.

□

مصادر الدراسة:

١- الاشتقاق، لعبد الله أمين، الطَّبعة الأولى، ١٩٥٦م.

٢- البحث اللغوي عند الهنود، لأحمد مختار عمر، دار الثَّقافة، بيروت، ١٩٧٢م.

٣- البحر المحيط، لأبي حيَّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، ت: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٤- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطَّبعة الرَّابعة،١٣٩٤هـ١٩٧٤م.

٥- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، د. محمود عكاشة. ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار النّشر للجامعات.

٦- التفسير الاشتقاقي للألفاظ وأثره في بيان أصل الكلمة، د. عبد الله بن أحمد القليصي، رسالة جامعية، ١٤٣٠م.

٧- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ت ١٣٩٣م، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٨- تفسير الفخر الرَّازي، (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرَّازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٩- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النَّجّار، الدار المصرية للتأليف والترجمة والدار القومية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

١٠- الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشِّدياق، قسطنطينيَّة، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ.

١١- جمهرة اللغة، لأبي بكرٍ محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي البصري (ت٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دار المعارف بحيدر آباد، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

١٢- الخصائص، لأبي الفتح (عثمان ابن جنِّي ت٣٩٢هـ)، ت: محمَّد علي النَّجَّار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٣- دراسات في فقه اللُّغة، د. صبحي الصَّالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثَّانية عشرة، يوليو١٩٩٤م.

١٤- دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، دار المعارف، الطَّبعة السَّادسة،١٩٨٦م.

١٥- الدَّلالة اللفظيَّة ، د . محمود عكاشة، مكتبة الأنجلو المصريَّة،٢٠٠٢م.

١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ه)، ت: محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٧- دور الكلمة في اللُّغة، لستيفن أولمان، ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه: د . كمال بشر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، الطَّبعة الثَّانية عشرة.

١٨- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ت: محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، ت: الفحام والنفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٩- سرُّ الليال في القلب والإبدال (في علم معاني الألفاظ العربيَّة) أحمد فارس الشِّدياق(المقدِّمة ومختارات)، تقديم وتحقيق واختيار: د. محمد بن الطَّاهر المطوي، دار الغرب الإسلامي، الطَّبعة الأولى،١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.

٢٠- سر الليال في القلب والإبدال، لأحمد فارس الشدياق.

٢١- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. سيد جمعة، عالم المعرفة، يناير ١٩٩٠م، عدد (١٤٥).

٢٢- الصَّاحبي في فقه اللُّغة وسُنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، مؤسسة بدران للطباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م،١٣٨٢هـ.

٢٣- علم الدلالة العربي (النَّظريَّة والتَّطبيق)، د . فايز الدَّاية، دار الفكر.

٢٤- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطَّبعة السَّادسة،١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م.

٢٥- علم اللغة، د. محمود السَّعران، دار الفكر العربي، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية ،١٤١٧هـ١٩٩٧م.

٢٦- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٥هـ)، تحقيق: عبد الله درويش، ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، مطبعة العاني، بغداد ،١٣٨٦هـ١٩٦٧م.

٢٧- فقه اللغة وخصائص العربيَّة، لمحمَّد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢٨- الفلسفة اللُّغويَّة، لجورجي زيدان، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٩- القضايا الأساسيَّة في علم اللُّغة، لكلاوس هيشن، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م

٣٠- الكلمة دراسة لغويَّة معجميَّة، د . حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيَّة، ١٩٩٥م.

٣١- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار المعارف، القاهرة.

٣٢- اللُّغة بين المعياريَّة والوصفيَّة، د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة، طبعة ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٣٣- اللُّغة، ج. فندريس، نعريب: عبد الحميد الدَّواخلي، ومحمد القصَّاص، مكتبة الأنجلو المصريَّة، مطبعة لجنة البيان العربي.

٣٤- المحصول في علم الأصول، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ت: طه جابر فيَّاض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٣٥- المزهر، في علوم اللُّغة وأنواعها ، للسُّيوطي (عبد الرحمن جلال الدِّين ت ٩١١هـ)، شرح وتعليق: محمَّد أحمد جاد المولى، وعلي محمَّد البجَّاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتوزيع.

٣٦- المستشرقون والمناهج اللغويَّة، لأحمد عمايرة، دار وائل للنشر، عمَّان، الأردن، ٢٠٠١م.

٣٧- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، ت: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٣٨- المعجم العربي، بحوث في المادَّة والمنهج والتَّطبيق، رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٩- المعجم(موسوعة لغوية علمية فنِّية)، لعبد الله عثمان العلايلي، دار الجديد، ودار المعجم العربي، بيروت، لبنان، الطَّبعة الثَّالثة، ١٩٩٧م.

٤٠- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، ت: خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٤١- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصريَّة، الطَّبعة الثَّامنة،٢٠٠٣م.

٤٢- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤٣- نشوء العربية ونموها واكتهالها، للأب إنستاس ماري الكرملي، مكتبة الثَّقافة الدينية، مصر.